تمييز وبأسرع ما يمكن . غير أني لست أتمنّى للأقطار العربية مثل هذه « النهضة » . وفي اعتقادي أن فرسخاً مربعاً من بلاد الصين « الخاملة » يحوي من الجوهر أكثر من كلّ جزائر اليابان « الناهضة » .

إن الشرق لفي غنى عن اقتباس حرف واحد من المدنيّة الغربيّة إذ ليس الاقتباس إلا تقليداً . وكل من يقلّد سواه لا يكون مخلصاً لنفسه . لأنّه يخفي حقيقته ليظهر بحقيقة سواه . وفي كل أمّةٍ ، مثلما في كلّ فرد ، حقيقةٌ كلُّ جمالها في أن تظهر كما هي . لذلك لا أرى كيف يمكننا أن نقلد الغرب في أمر من الأمور دون أن نخون أنفسنا ونمسخ الحقيقة التي فينا . لنأخذ الشعر مثلاً . ما الشعر ، ولا الأدب بأسره ، إلاّ عواطفنا وأفكارنا منظومة أو منثورة . فإذا قلّدنا في نظمها أو نثرها الغربيَّ فنحن ناظمون وناثرون عواطف وأفكاراً غير عواطفنا وأفكارنا . وإذ ذاك لا شعرنا شعر ولا أدبنا أدب . وليس أقلّ قباحة من ذلك تقليدنا لأبناء الجاهلية أو ما بعدها . فجمال الشعر إنّما هو إخلاصه في تصوير الحقيقة الكائنة في نفس الشاعر . وفي ذاك سرّ الابتكار والإبداع .

لقد قلت ما قلته في المدنيّتين — الشرقية والغربية — وأنا عارف حق المعرفة أن المدنية الغربية ، وإن تداعى بنيانها ، لا تزال برّاقة غرّارة . وأنها لن تهوي إلى الحضيض قبل أن